شخصية الرسول (ص) في شعر حسان بن ثابت

علي كمال الدين المهادي

كلية الاداب / جامعة الموصل / قسم اللغة العربية

في البداية أود أن أشير الى اعتماد البحث على تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين لديوان حسان بن ثابت ؛ لأن المحقق عني عناية فائقة في رد الشعر الموضوع على الشاعر . كما أود أن أشير ايضاً الى تجنب البحث لكل الأشعار التي حامت حولها الشكوك ، والتي وردت في كتاب السيرة النبوية لابن هشام ولم يوثقها المحقق .

من المفيد أن نذكر ان حجم الشعر الذي تشرف بذكر الرسول (ص) من شعر حسان قليل إذا قيس بحجم الديوان الذي خلفه حسان ، لأن شعر العصر الجاهلي يخلو من ذكر الرسول خلوا تاماً ، أما الشعر الاسلامي فينشغل الشاعر فيه بالفخر بقومه ، وبهجاء المشركين ، فكان نصيب الرسول (ص) منه قليلا .

وعلى الرغم من قلة هذا الشعر الذي تناول الشاعر فيه الرسول (ص) فقد شهد اهتماماً كبيراً بهذه الشخصية الكريمة ، مما جعل الشاعر اهلا لأن يلقب بلقب (شاعر الرسول) .

ليس من السهل أن يتناول المرء بالدراسة عظيماً من عظماء التاريخ ، وقائداً من قادة الأمم الذين علاشأوهم في بناء صرح أممهم ، وشموخ أمجادها فما بالك بمن يكتب عن نبي غيرَّ مجرى التأريخ ووجه العالم ، وأقام للإنسانية صرحاً تفخر به البشرية وتعتز حتى يرث الله الارض ومن عليها ، إن الكتابة عن شخصية الرسول الكريم (ص) مهما بلغت من النضج

والعمق والشمول ، فلن تبلغ شيئاً يسيراً مما خطه الرحمن في محكم كتابه عندما رسم لنا تلك الشخصية بكل ابعادها ، الجثمانية والنفسية (١) تلك الشخصية التي اكتنفتها الرعاية الإلهية من صلب أدم حتى اشرقت في الوجود العربي لتخرج الأمة العربية من الظلام إلى النور يقول ابن هشام : «فشب رسول الله – صلى الله عليه وسلم والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما يريده من كرامته ورسالته ، حتى بلغ ان كان رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، واكرمهم حسباً ، واحسنهم جواراً واعظمهم حلماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وابعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرماً ، حتى ماسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة » (٢).

لقد استطاع الرسول (ص) أن يجمع من عناصر الشخصية القومية التي تؤهله لقيادة التاريخ ، ما جعله اهلا لحمل رسالة السماء الى الارض ، معتمداً في ذلك على الأمة التي أنجبته فغدت به وبرسالته خير أمة أخرجت للناس ، وكان خير إنسان لبني الإنسان « فكان محمد (ص) مستكملا للصفات التي لاغنى عنها في إنجاح كل رسالة عظيمة من رسالات التاريخ : كانت له فصاحة اللسان واللغة .

وكانت له القدرة على تأليف القلوب وجمع الثقة .

وكانت له قوة الإيمان بدعوته وغيرته البالغة على نجاحها (٣) .

ولعل من عوامل النجاح الكثيرة التي اكتنفت دعوته (ص) ، اعتماده على الشعر وسيلة من وسائل الدفاع والهجوم ، فقد خصص لدعوته أفضل شعراء الأنصار ، وعقد لواء القول الشعري لأعلاهم نفسا حسان بن ثابت

---

(١) ينظر سيرة الرسول (ص) صور مقتبسة في القرآن . محمد عزة دروزه .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١٦٧/١ .
(٣) عبقرية محمد العقاد : ٢٠

الذي عرف شعره الأسلامي «بالغيرة الصادقة والحب العميق والرابطة القلبية القوية حين يتحدث عن رسول الله (ص) (٤) فقد أثر عن الرسول (ص) أنه قال « أمرت عبد الله بن رواحة ، فقال وأحسن ، وأمرت كعب إبن مالك ، فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى » (٥) لقد شفى حسان نفوس المسلمين يوم دافع عنهم أبسل دفاع « فكان سلاحاً خطيراً في أيدي المسلمين لايقل خطورة عن أسلحتهم الحربية الأخرى فهو صحيفتهم اليومية وهو لسان دعايتهم » (٦) .

نشأ حسان قبل الأسلام في يثرب بين الأوس والخزرج اللذين عاشا في نزاع دائم : « في كنائفهم صحائف سود من تأريخهم المشؤوم ، حين كانوا لايلتقون إلا على حرب ولايفترقون إلا على موعد حرب حتى صارت الأشلاء طعامهم ، والدماء شرابهم ، والأحن والاحقاد مما يدور على السنتهم ويستقر في أعماقهم ، فطرحوا كل ذلك عنهم ، واقبلوا خفافاً على اجنحة الشوق للقاء الرسول (ص) يحملون له الحب ، ويصبون الى الأمن ، ويتطلعون الى الخير » (٧) .

لقد تأثر حسان بالبيئة التي نشأ فيها وشارك قومه محنهم وأفراحهم وفاخر بأنتصاراتهم وهجا اعداءهم وجعلت هذه البيئة من حسان شخصية قوية «مقبلا على الحياة ، محاكياً أترابه فيما يفعلون ، فهو في الخزرج مكتوٍ بالنزاع مع الأوس ، شهد كثيراً من مآسي الطعان وأدرك محركاته الخفية قبل العلنية ولعله كان في وضع ، وعمر لايهيئان له تغيير شيء مافي العلاقات وهو الطموح جداً المبالغة » (٨) .

---

(٤) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية د. محمد محمد حسين : ٢٣٢
(٥) الأغاني لأبي فرج الاصفهاني : ٤/ ١٣٥٧
(٦) حسان بن ثابت شاعر الرسول د. سيد حنفي حسنين : ١٧٤
(٧) شخصية الرسول الكريم د. علي الحبوبي : ٣٩٢
(٨) رحلة في زمن حسان بن ثابت : عبد الاله الصائغ : ٨٤

ولذا هب حسان سريعاً الى الاسلام وفزع للوقوف بجانب الرسول العظيم الذي غير علاقات العداء بين قومه وأبناء عمومتهم الى علاقة سلام وحب ومؤاخاة بعد أن اكتوى الشاعر بنار نزاعهم وسالت بدمائهم وديان يثرب .

فوقف الشاعر شاكراً لرسول الله هذا الشرف الكبير يوم جعله شاعر الدعوة الأول ، ممتنا لعمله العظيم الذي وحد قومه الأنصار ثم أخى بينهم وبين من هاجر من المسلمين ، فراح يرسم صورة رائعة لهذا القائد النبي ، ويفاخر بقومه من الانصار الذراع الطويلة الضاربة لهذا النبي الكريم راسماً لهذه الشخصية أبعاداً ثلاثة هي :

ا ـ الملامح والهيئة والنسب .

ب ـ المزايا الذاتية .

جـ ـ النبوة والرسالة .

ـ أ ـ

تناول حسان بن ثابت في شعره ملامح الرسول الكريم (ص) وهيئته فرسمها بحب بالغ واهتمام كبير ، غير أنه لم يقف طويلا عند تفصيلات تلك الملامح ، ولعل ذلك راجع الى التصور الاسلامي الذي التزمه حسان في رسم ابعاد الشخصية الإنسانية للمسلم والتي لا تبدي اهتماماً كبيراً بالملامح والهيئة بقدر ما توجه عنايتها إلى العناصر النفسية والسلوكية ، فهذا رسول الله يقول : (إن الله لا ينظر إلى اجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم) (٩) وكان حسان يلتزم هذا التوجيه في مدحه ورثائه للرسول والفخر به فيفيض حديثه يوم يتناول ذكر النبوة ونفسية الرسول الكريم ، ويوجز الحديث عند ذكر الملامح والهيئة ومع ذلك فقد وصف لنا صورة الرسول كأجمل ما يكون الوصف وذكرها بأروع ما يكون الذكر يقول حسان(١٠)

---

(٩) رياض الصالحين للنووي : ١٣

(١٠) ديوان حسان بن ثابت تحقيق د. سيد حنفي حسنين
إضافات الديوان القصيدة : ١

١ ــ وأحسن منك لم ترقطّ عيني وأجمل منك لم تلد النساءُ

٢ ــ خلقت مُبرّءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاءُ

هكذا يراه حسان ما وقعت العين على احسن منه ، وما ولدت الوالدات اجمل من الرسول (ص)، لقد خلق كما تشتهي نفسه وتهوى . وإذ يمدح حسان الرسول (ص) فانه يصف طلعته البهية التي تشبه الهلال المبارك .

٣ ــ مثل الهلال مباركاً ذا رحمة سمحَ الخليقة طيب الأعواد (١١)

ويكرر حسان هذه الصورة في التفخر بقومه الذين يقودهم الرسول الكريم (١٢) .

مبارك كضياء البدر صورتهُ ما قال كان قضاءً غير مردودِ

ويعيد حسان صورة القمر عند هجائه لبني قريظة (١٣)

٣ ــ غداة أتاهم يهوي اليهم رسول الله كالقمر المنيـــر

تلك صورة رسول الله عند حسان ؛ إنها صورة الهلال والقمر والبدر الذي يتوسط السماء يهدي الناس بنوره سواء السبيل ، وللرسول (ص) هيئة أخرى في الحرب فهو يقود المهاجرين والانصار يوم بدر ويمشي في مقدمة الجيش تدل هيئته على العزم والثبات يقدم على العدو دون تهيب او تردد .

١ ــ مُستشعري حلَقِ الماذي يقدمهـــم

جلْدُ النحيزة ماض غيرُ رعديد (١٤)

ففي ملامح رسول الله وهيئته القوة والعزم والجلد، وهي صفة تأتي في الموطن الذي يحتاج إلى القوة ، مقدمة الجيش امام الصفوف .

---

(١١) ديوان حسان القصيدة : ٢٢٩

(١٢) ديوان حسان القصيدة : ١١٦

(١٣) المصدر نفسه القصيدة : ١١٩ يهوي : يسرع

(١٤) المصدر نفسه القصيدة : ١١٦ النحيزة : الطبيعة

ولا يفوت حساناً أن يوضح ذروة النسب العريق الذي ينتمي الرسول (ص) إلى شجرته الكريمة القديمة في المجد والحسب (١٥) .

٢ ـ إنَّ العرانين من كعب وعامرها
وهاشم وقديم المجد والحسب

٣ ـ منهم رسول الهدى والله فضّلَه
ما في الانام له عدل ولا كتبُ

إن الإشادة بانتساب هذا السيد الماجد الكريم إلى البيوتات الكريمة وانتماءه إلى غصن أصيل ، وفرع طيب ، في شجرة طيبة مباركة ؛ يذكره حسان عندما يهجو المشركين ويفاخرهم ، فيعمد إلى وضع نسب الرسول (ص) في مواجهة انسابهم ، فيعلو عليهم نسبه وتغطي اشراقته ومنيض انسابهم الخافت يقول في هجاء ابي سفيان (١٦).

٢ ـ ثمانمئى غضبة من فرع فهر
وقد أعيت مناعيهم ابتاكما

٣ ـ ذؤابة هاشم والفرعُ منهم
وقد قصرت عن الغليا يداكما

٦ ـ رسول الله والأبطال منا
فما تحمي لدى هيج حماكما

هذه صورة النسب الهاشمي وهذه افنان الغصن المحمدي الوارف الظلال يقفها الشاعر بوجه ابي سفيان (١٧) .

---

(١٥) المصدر نفسه القصيدة : ٢٦
(١٦) المصدر نفسه القصيدة : ١٢
(١٧) المصدر نفسه القصيدة : ٢٤

١ ـ أبلغ أبا سفيان أنّ محمداً

هو الغصنُ ذو الأفنان لا الواحد الوغدُ

إن حساناً يفاخر بهذا النسب ليحبط في نسب اعداء الرسول (ص) من المشركين ، لأن الطعن بالأحساب والأنساب آلم وأوجع لمن اشرك ، وهذا اسلوب اعتمده كعب بن مالك أيضاً في هجائه للمشركين يقول الدكتور شوقي ضيف «ومن المؤكد أن حساناً وكعباً كانا يرميان قريشاً عن بصيرة حين غلبت على مهاجاتهما صورة الهجاء القديمة لأنها هي التي كانت توذي نفوس القريشيين المكيين ، ولو انهما رمياهم بالشرك وعبادة الاوثان لمانا لامنهم إذ كانت تلك عقيدتهم وكانوا يعتزون بها . ومن ثم اتجه حسان وكعب هذه الوجهة ، فطعنا في الأحساب والأنساب (١٨) .

لم يقف حسان وقفة طويلة لرسم الصورة المنظورة للرسول الكريم (ص) لأنه وجه اهتمامه وعنايته لرسم الصورة النفسية لمحمد الإنسان والنبي .

ـ ب ـ

وتجدر الاشارة إلى قول عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت «خُلُقُ القرآن» (١٩) وتلت قوله تعالى «وإنك لعلى خلق عظيم» (٢٠) وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جداً من شأنها أن تساعد على إعطاء صورة مشرقة قوية صادقة لأخلاق النبي (ص) وفضائله ...وما كان عليه من الشهامة والرحمة والصدق والبساطة والتمرد والزهد (٢١) .

وفي شعر حسان بن ثابت ما يصور هذه الفضائل ويشير اليها بصور مختلفة ، تأتي في إطار من الفخر والمديح والرثاء والهجاء وتأتي رداً على المشركين في

(١٨) تاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي د. شوقي ضيف : ٥٠
(١٩) البيان والتبيين للجاحظ : ٢٨/٢
(٢٠) سورة القلم ، الآية : ٤
(٢١) ينظر سيرة الرسول ـ دروزة : ٥٣ ومابعدها

شعر الهجاء الذي تناولهم به حسان بن ثابت وفي هذه الصور جميعاً يمازج حسان بين الفضائل الخلقية للسيد العربي الماجد وفق الأعراف القبلية التي ابقى عليها الاسلام وبين الفضائل التي جاءت بها الرسالة الاسلامية السمحاء .

ويتناول الشاعر الفضائل الفردية للرسول (ص) في وقت السلم والصفاء . ففي المديح تبرز شخصية الرسول الماجد العفيف الخلق صاحب الرأي السديد يبذل النصح لمن شاوره ، رحيم ، يغلب السماح على طبعه ، سيد ماجد طيب الاعواد يقول حسان (٢٢) .

١ ــ والله ربي لا نفارق ماجداً عفَّ الخليقة سيدَ الأجداد

٢ ــ متكرماً يدعو إلى ربِّ العُلا بذلَ النصيحة رافع الأعمادِ

٣ ــ مثل الهلال مباركاً ذا رحمة سمحَ الخليقة طيب الأعوادِ

والرسول (ص) كامل الصفات كامل الخلق لا تشوبه شائبة ولا يعيبه عيب (٢٣) .

٢ ــ خلقت مُبرّءاً من كلَ عيب كأنّك قد خُلقْتَ كما تَشاءُ

اما في الرثاء فقد أطال حسان في عرض شمائله الكريمة وخصاله الحميدة(٢٤). فما حملت أنثى مثل محمد ولا مشى فوق الأرض اوفى ذمة منه ، وفيّ لجيرانه ، وفيّ بمواعيده ، خير الناس كلّهم جميعاً ، كأنه النهر الذي يمنح الحياة فكان فقدانه حرماناً للشاعر من ذلك الرواء العظيم (٢٥) .

٢ ــ بالله ما حملت أنثى ولا وضعتْ
مثل النبيّ رسول الرحمة الهادي

٣ ــ ولا مشى فوق ظهر الأرض من احد
اوفى بذمةٍ جار او بميعاد

---

(٢٢) ديوان حسان القصيدة : ٢٢٩
(٢٣) ديوان حسان القصيدة الاولى من اضافات الديوان
(٢٤) دراسات في الأدب الإسلامي د. سامي مكي العاني ١٥٨
(٢٥) ديوان حسان القصيدة : ٨٧

٦ – خير البرية انني كنت في مضر
جار فأصبحت مثل المفرد الصادي

وفي هجاء المشركين تبدو شخصية النبي الذي لا يعد له رجل في البشرية كلها (٢٦) .

٣ – منهم رسول الهدى والله فضلّهُ
ما في الأنام لهُ عدل ولا كَتَبُ

والرسول كريم كثير العطاء برّ بقسمه ويمينه (٢٧) .

٤ – أعني النبيَّ أخا التكرّم والندى
وأبرّ من يولي على الإقسام

فتلك جميعاً فضائل فردية رسمها حسان وجسدها في شخص الرسول . ويُثبت حسان فضائل هذه الشخصية كالشجاعة والاقدام في الحرب بين المسلمين وكيف يتضافر الأنصار لنصر الرسول والدفاع عنه وعن دينه (٢٨).

١٩ – وكنا متى يغزُ النبيَّ قبيلةً
نصلْ حافتيه بالقنا والقنابلِ

ويعدد القبائل التي حاربها الرسول وفرّت جميعاً من المعارك التي لاقاها بها .

٢٣ – فنصروا وشدَّ الله ركن نبيّه
بكلّ فتى حامي الحقيقة باسلِ

ويصور حسان بسالة بني النجار يوم أحد وقتالهم امام شخص الرسول ، ثم يذكر قتلى المشركين، ومنهم أبيُّ بن خلف الجمحي الذي قتله الرسول (ص) بيده وكان أبيٌّ يعلف فرسه كل يوم فرقاً من الذرة ويقول : فرسي

(٢٦) ديوان حسان القصيدة : ٢٦
(٢٧) ديوان حسان القصيدة : ١٦٦
(٢٨) ديوان حسان القصيدة : ٥٥

هذه أعلفها كلَّ يوم فرقاً لأقتل عليها محمداً فقال رسول الله (ص): « بل أنا أقتله إن شاء الله» فلما كان يوم احد نظر اليه النبي (ص) فطعنه في ترقوته بحربة (٢٩) .

١٢ – وقد غادرتْ تحت العجاجَه مسنداً
أبياً وقد بلّ القميص نجيعُ

١٣ – بكفُ رسول الله حين تلففت
على القوم مما قد يثرنَ نقوعُ

وبعد معركة بدر يقف الرسول على جثث المشركين في قليب بدر وبناديهم : «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، أمّا انا فقد وجدت ما وعدني ربي حقا ، فقيل له : يا رسول الله : أتنادي قوماً جيفوا فقال : «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون» فيقف حسان بعد ذلك ليشير إلى هذا الموقف الفذ ويرسخه في الاذهان شعراً بعد أن رسخه رسول الله نثراً (٣٠) .

١٤ – يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب في القليب
١٥ – الم تجدوا حديثي كان حقاً وأمرُ الله يأخذ بالقلوب
١٦ – فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب

في هذه الابيات تبدو شخصية القائد المقنع واضحة ، إنه يريد أن يرسخ فكرة العذاب والنار في أذهان المسلمين ليزدادوا إيماناً على إيمانهم وتزداد ثقتهم بالنصر الذي وعد الله رسوله فيسأل قتلى بدر عما بعد الموت لكنهم لايجيبون فيتكفل حسان بالاجابة عنهم «ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب» .

إن عظمة شخصية الرسول القائد تتجلى في التزام صحبه الكرام لدينه وعقيدته والإيمان بحكمة قيادته إيماناً يدفعهم إلى الاقدام على الموت دون خشية

---

(٢٩) ديوان حسان القصيدة : ٦
(٣٠) ديوان حسان القصيدة : ٣١ الكباكب : الجماعة من الناس

وتردد ، ويطيعونه في كل شيء دون مجادلة او نقاش يقول حسان يصف المسلمين يوم بدر (٣١) .

١ ــ فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غيرُ محدود

ويرسم حسان أبعاد هذه الطاعة غير المحدودة لشخصية هذا القائد الصادق المصدق (٣٢)

٢١ ــ ركنّا اليه ولم نعصه غداة أتانا من ارضي الحَرَمْ

٢٢ ــ وقلنا صدقت بما جئتنا هَلُم الينا وفينا أقم

٢٣ ــ فناد بما كنت أخفيته نداءً جهاراً ولا تكتتم

٢٧ ــ فطار البغاةُ بأشياعهم اليه يظنون أنهُ يُخْتَرَمْ

٢٨ ــ فقمنا بأسيافنا دونه نجالدُ عنه بغاةَ الأُمم

ويؤكد حسان شخصية الرسول المطاع في إجابته لوفد تميم حتى لا تحدثهم أنفسهم بعصيانه او الوقوف بوجهه ، فهذا قائد لايناقشه قومه في أمر او توجيه ينفذون اوامره بالاقامة والرحيل ، حتى انتصر على النصارى واليهود من اهل الصليب والبيع (٣٣)

١٦ ــ أعطوا نبيَّ الهدي والبرَ طاعتهم

فما ونى نصرهم عنه وما نزعوا

١٧ ــ إن قال سيروا اجدّ السير جهدُهم

أو قال عُوجُوا علينا ساعةً ربعوا

١٨ ــ ما زال سيرهم حتى استقاد لهم

أهل الصليب ومن كانت له البيعُ

---

(٣١) ديوان حسان القصيدة : ١١٦

(٣٢) ديوان حسان القصيدة : ٣٢

(٣٣) ديوان حسان القصيدة : ١١٣

إن شخصية الرسول في شعر حسان شخصية قائد بلغ من حب أتباعه له أنهم يفدونه بحياتهم فيقومون دونه سداً منيعا بوجه أعدائه وشانئيه ، وعلى رغم أنوف اعدائه يقاتل دونه المسلمون كل باغ وظالم ويفدونه بالبنين والبنات

١ ـ منعنا رسول الله إذ حلّ وسطنا
على أنف راض من معدّ وراغم

٢ ـ منعناه لما حلّ وسط بيوتنا
بأسيافنا من كل باغ وظالم

٣ ـ جعلنا بنينا دُونه وبناتنا
وطبنا لهُ نفساً بنمي المغانم (٣٤)

ويرسم هذه الشخصية التي تفدّيها الروح في رثائه لشهداء بدر الذين وفوا بوعدهم للرسول يوم آمنوا به وصدّقوه وأطاعوه في كل أمر وسمعوه في كل رأي حتى استشهدوا على عهده (٣٥) .

٥ ـ وفوا يوم بدر للرّسول وفوقهم
ظلال المنايا والسيوف اللوامعُ

٦ ـ دعا فأجابوه بحقٍّ وكلّهم
مطيع لهُ في كلّ أمر وسامعُ

٧ ـ فما بدّلوا حتى توافوا جماعة ولا يقطع الآجال إلا المصارعُ

وحين يدافع حسان عن الرسول (ص) ويهجو من يهجوه من أمثال أبي سفيان بن الحارث ، يجعل من نفسه وأمه وابيه وعرضه وقاية لعرض الرسول القائد الذي لا يستوي من يهجوه بمن يدافع ويذود عنه يقول في هجاء أبي سفيان (٣٦) .

(٣٤) ديوان حسان القصيدة : ١١٢
(٣٥) ديوان حسان القصيدة : ١١٤
(٣٦) ديوان حسان القصيدة : ١

٢٢ – ألا أبلغ أبا سفيان عني ... فأنت مجوف نخب هواءُ
٢٣ – فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواءُ
٢٤ – هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
٢٥ – أتهجوه ولست له بكفوء ... فشركما لخيركما الفداء
٢٦ – فإن أبي ووالدَهُ وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاءُ

هذه شخصية الرسول القائد بفضائلها النفسية والخلقية التي جعلت منه «نموذجاً حياً للشخصية القوية التي تستطيع بقوة إيمانها أن تصلح ما أفسد الدهر فقد استطاع (ص) في حياته أن يغير طباع قومه وأفكارهم ، وأن يقوّمَ المعوج من اخلاقهم ، وأن يدفعهم بقوة في طريق المثل الأعلى ويرفعهم إلى مستوى من الحياة أسمى وأزكى (٣٧).

–ج–

وصف القرآن الكريم النبي (ص) بقوله : «ياأيها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً» (٣٨) .

ان شخصية الرسول النبي في شعر حسان بن ثابت واضحة كل الوضوح تكاد تطغى على السمات الأخرى للشخصية ويرجع ذلك إلى الإيمان العميق بالدين الذي اقتنع به حسان فاعتنقه (٣٩) وتبدو لهذه الشخصية معالم شتى .

تظهر الشخصية النبية للرسول في شعر حسان محاطة بما يؤكد هذه النبوة والرسالة وارتباطها بالله والسماء والوحي . يقول الشاعر في هجاء أبي سفيان (٤٠).

---

(٣٧) صور من حياة الرسول – أمين دويدار : ١٠ – ١١
(٣٨) سورة الاحزاب الاية ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨
(٣٩) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية د. مصطفى الشكعة : ٩٦
(٤٠) ديوان حسان القصيدة : ١

١٩ – وقال الله قد ارسلت عبداً يقول الحق ليس به خفاءُ
٢٠ – شهدت به فقوموا صدّقوه فقلتم لا نجيب ولا نشاء
٢١ – وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاءُ

ويقول (٤١) .

١ – شهدتُ باذن الله أنّ محمداً رسولُ الذي فوق السماوات من عل

والنبي يسنده الله بجند من عنده ينزلها من السماء فيها جبريل وغيره من ملائكة الله (٤٢).

١٢ – برجال لستمُ أمثالهم أيّدُوا جبريل نصراً منزل
٤ – فأنزل ربّي للنبي جنوده وايده بالنصر في كل مشهد (٤٣).

وفي معركة الخندق ارسل الله ريحاً فرقت جمع المشركين انتصاراً لنبيه الكريم ، إنها شخصية تدعمها السماء (٤٤) .

١٢ – وأقرّ عينَ محمد وَصحابه وأذلّ كلّ مكذّب مُرتاب

ويفيد جسان فائدة كبيرة من الاحداث التي دلت على نبوة الرسول الكريم ومعرفته للخفي من الامور ، فيوثق هذه النبوة بالشاهد والدليل لرسم شخصية الرسول ومن هذه الشواهد

مقتل المجذّر يوم أحد في مكان لم يصل اليه المشركون ، فَرجّم المسلمون الظنون ولم يحققوا شيئاً وعَمي خبره ، فأتى جبريل النبيّ (ص) فأخبره عن الله تبارك وتعالى أن الحارث بن سويد الصامت قَتَلَهُ وأمَرَهُ بقتله عن الله عزّ وجل فأمر الرسولُ بضرب عنقه فقتل فقال حسان مشيراً إلى ذلك (٤٥) .

---

(٤١) ديوان حسان القصيدة : ٢٠٥
(٤٢) ديوان حسان القصيدة : ٣٠
(٤٣) ديوان حسان القصيدة : ١١١
(٤٤) ديوان حسان القصيدة : ٢٥
(٤٥) ديوان حسان القصيدة : ٢٠٠ وينظر سياق الخبر في هامش صفحة ٣٠٢

١ ــ يا حار في سنة من نوم أولكم أمْ كنت ويحك مغتراً بجبريل
٢ ــ أم كنت يا ابن زياد حين تقتله ذي غرة في فضاء الأرض مجهول
٣ ــ وقلتم لن نرى والله يبصركم وفيكم مُحكمُ الأيات والقيل
٤ ــ محمد والعزيز الله يخبرُهُ بما تكنُّ سريراتُ الأقاويل

ومن ذلك سرقة درعي الرسول: سرق طعمة بن أُبَيْرق درعين من رسول الله (ص) وأخفاهما عند يهودي فنزلت الآية الكريمة «ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحبُّ من كان خواناً أثيما» فخاف طعمة وهرب إلى مكة فقال حسان (٤٦) .

٤ ــ ظننتم بأن يخفى الذي قد صنعتم وفينا نبيٌّ عنده الحكمُ واضحُه

وكذلك ما جاء في خبر أبي واسع الذي كان شديد العداوة للرسول (ص) فقال النبي عليه السلام :

«اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» وخرج أبو واسع في سفر له ومعه عدَّة من قومه ، فتخطى اليه السبع من بينهم حتى أكله» (٤٧) فقال حسان يذكر النبي الذي يستجاب دعاؤه (٤٨) .

٣ ــ رحمَ نبيَ جَدُّهُ جَدَّهُ يدعو إلى نور هُدًى ساطع
٤ ــ أسبلَ بالحجر لتكذيبه دون قريش نهزَهُ النفاذع
٥ ــ فاستوجبَ الدعوة منه فقد بيّن للناظر والسامع
٦ ــ إن سلّطَ الله به كلْبَهُ يمشي الهوينى مشيةَ الخادع
٧ ــ فالتهم الرأس بيافوخه والحَلْقَ منهُ ونُحْرَةَ الجائع
١٢ ــ قد كان فيه لكمْ عبرة للسيد المتبوع والتابع

(٤٦) ديوان حسان القصيدة : ١٨٦ وينظر سياق الخبر في هامش صفحة ٢٨٦
(٤٧) ديوان حسان القصيدة ١٦٢ أبو واسع هو عتيبة بن أبي لهب
(٤٨) ديوان حسان القصيدة : ٥٣

وهكذا فان شخصية الرسول قد فضلها الله على البشر فما يقول..... (ص) قضاء وقدر (٤٩) .

٢ ـ أعني الرسول فان الله فضله على البرية بالتقوى وبالجـــود
٦ ـ مبارك كضياء البدر صورته ما قال كـــان قضاءً غير مردود

ويشير حسان في مفاخرة وفد تميم إلى شخصية الرسول الذي وحّدَ الأمة في وقت كثر فيه الخلاف وسادت الفرقة (٥٠) :

١ ـ أكرمْ بقوم رسول الله قائدهم إذا تفرقت الأهواءُ والشيَـــعُ

وشخصية النبي المصدّق الذي يفخر المسلمون بتصديقه ومنـــاصرتـــه والمجاهدة في سبيله نراها في قول الشاعر (٥١) .

١٨ ـ نصرنا وآوينا النبيَّ وصدّقت أوائلنا باحسنَ أولَ قـائـل

إن هذا النصر والتأييد والتصديق موظف للحصول على رضوان النبي الشفيع لأنه لاشفاعة لغير الأنبياء(٥٢) .

٥ ـ وفوا يوم بدر للرّسول وفوقهُم ظلال المنايا والسيوف اللوامعُ
٨ ـ لأنهم يرجون منه شفـاعـــةً إذا لم يكنُ إلا النبيين شافـع
٩ ـ وذلك ياخيـر العباد بلاؤنـا ومشهدنا في الله والموت نـاقع
١٠ ـ لنا القدمُ الأولى اليك وخلفنا لأوّلنا في طـاعة الله تـابُـــع

قال تعالى «وادعُ إلى ربّكَ إنّكَ لعلى هُدى مستقيم» (٥٣) وقال ايضاً «وانّكَ لتهدي إلى صراط مستقيم» (٥٤) .

---

(٤٩) ديوان حسان القصيدة : ١١٦
(٥٠) ديوان حسان القصيدة : ١١٣
(٥١) ديوان حسان القصيدة : ٥٥
(٥٢) ديوان حسان القصيدة ١١٤
(٥٣) سورة الحج الاية : ٦٧
(٥٤) سورة الشورى الأية : ٥٢

إن الرسول (ص) يدعو الناس إلى الهداية والاسلام وينير دربهم للاهتداء إلى سواء السبيل بالتكرُّم والنصيحة (٥٥) :

١ ــ والله ربي لاتفارقُ ماجداً عفّ الخليفة سيدُ الأجداد
٢ ــ متكرِّماً يدعو إلى ربِّ العُلا بذلُ النصيحةُ رافعَ الاعماد

ومحمد (ص) رسول الرحمة الهادي ليس له مثيل يبذل المعروف للناس .

٢ ــ بالله ماحملت أنثى ولا وضعت مثل النبيِّ رسول الرحمة الهادي(٥٦)
٥ ــ مصدقاً للنبيين الألى سلفوا وابذلُ الناس للمعروف والجادي

إن هذه الهداية التي تمتع بها الرسول (ص) فرقت حجب الظلام وأزاحت عنه العماية (٥٧) .

٤ ــ قرمٌ أضاءت له الظلماء وانقشعت عنه العماية والأهوال والكربُ

إنَّ الفخر بالانتساب الى النبي (ص) يأتي في شعر حسان لأن النبي هو القائم بأمر الله والإسلام والوحي لذا كان الاعتزاز بالانتماء اليه والى دينه كبيراً والدفاع عنه وعن دينه مفخرة من المفاخر (٥٨) .

١ ــ الله أكرمنا بنصر نبيِّـــه وبنا أقامَ دعائم الإسلام
٢ ــ وبنا أعزَّ نبيَّهُ وكتابَـــهُ وأعزنا بالضرب والإقـــدام
٣ ــ في كل معترك تُطير سيوفنـا فيه الجماجم عن فراخ آلهـام

ويفخر حسان بمناصرة قومه لله والرسول والاسلام ، وأن الله اكرمهم بتلك الايام التي نصروا بها رسول الله (٥٩) .

٢ ــ وأكرمنا الله الذي ليس غيرَهُ إله بأيام مضتْ مسالها شكلُ
٣ ــ بنصر الإله والنبيُّ ودينـه واكرمنا باسم مضى ماله عدلُ
٤ ــ أولئكَ قومي خيرُ قوم بأسرهم فما عدَّ من خير فقومي لهُ أهلُ

(٥٥) ديوان حسان القصيدة : ٢٢٩
(٥٦) ديوان حسان القصيدة : ٨٧ الجادي الذي يطلب ماعنده
(٥٧) ديوان حسان القصيدة : ٢٦ القرم : السيد
(٥٨) ديوان حسان القصيدة : ٣٥
(٥٩) ديوان حسان القصيدة : ٣٤

ويفخر حسان بخذوله قومه لهذا النبي الكريم فيقول (٦٠) .

٥ – ونحن ولدنا من قريش كريمها ولدنا نبيّ الله من آل هاشم

إن الجهاد في سبيله وفي سبيل دينه مظهر من مظاهر قوة شخصية النبي تلك القوة النابعة من امتزاج الرسالة والنبوة في شخصية الرسول الكريم ذلك الامتزاج والتوحد الذي جعل الجهاد من أجل هذا النبي وهذه الرسالة مفخرة واعتزازاً لمن يجاهد دونها يقول حسان (٦١) .

١٠ – أما قريش فإني غير تاركهم حتى ينيبوا من الغياث للرَّشد

١٢ – ويشهدوا أن ماقال الرسول لهم حق ويوفوا بعهد الواحد الأحد

ومرة اخرى يفخر حسان بطاعة الرسول والايمان به وتشجيعه على بث دعوته والوقوف بجانبه بالنفس والمال والأولاد والسيف (٦٢) .

٢٠ – فلما أتانا رسول الإله بالنور والدين بعدَ الظُلَم

٢١ – رَكنّا اليه ولم نعصه غداةَ أتانا من أرضي الحرَم

٢٢ – وقلنا صدقتَ بما جئتنا هَلُمَّ إلينا وفينا أقم

٢٣ – فناد بما كنت أخفيتُه نداءً جهاراً ولا تكتتم

٢٤ – فنشهد أنكَ عبدُ المليك أرسلْتَ نوراً بدين قُيم

٢٥ – فإنّا وأولادَنا جنّة نقيكَ وفي مالنا فأحتكم

٢٦ – فنحنُ ولا تُكُ إذ كذّبو ك لم ننبُ عنكَ ولم نحتشم

٢٧ – فطار البُغاةُ بأشياعهم إليه يظنون أنهُ يُختَرَم

٢٨ – فقمنا بأسيافنا دونَه نجالدُ عنهُ بغاةَ الأمم

ويؤكد حسان هذا الفخر بالقتال المستمر حتى تتابع الناس في الدخول في دين محمد (ص) (٦٣) .

---

(٦٠) ديوان حسان القصيدة : ١١٢ أم عبد المطلب بن هاشم من بني النجار وهي سلمى بنت زيد بن عمرو .

(٦١) ديوان حسان القصيدة : ٥٢

(٦٢) ديوان حسان القصيدة : ٣٢

(٦٣) ديوان حسان القصيدة : ١١٢

٤ – ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا على دينه بالمرهفات الصوارم
٧ – لنا الملك في الإشراك والسبق في الهدى ونصر النبيّ وابتناءُ المكارم

على أن هذا الفخر يتحول الى عتاب للرسول الكريم ولكنه عتاب رفيق رقيق لين هادىء ينشده الشاعر يوم جعل الرسول قبيلة سليم على مقدمة الجيش الذي دخل فاتحاً مكة وجعل قيادتها لخالد بن الوليد فكان حسان يرى أن الانصار أحق أن يكونوا في مقدمة الجيش لسابقتهم في الإسلام ولأيامهم التي أبلوا حق البلاء فيها في الله ورسوله (٦٤) .

٤ – رأت الرسول فقل ياخير مؤتمن للمؤمنين إذا ماعُدِّلَ البشر
٥ – علامَ تدعى سليم وهي نازحةٌ أمام قوم همُ آوَوْا وهمْ نصروا
٦ – سماهم الله أنصاراً لنصرهم دينَ الهدىَ وعوان الحرب تستعر
٧ – وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا للنائبات فما حاموا وما ضجروا

الخاتمة

لقد تمكن حسان بن ثابت من رسم شخصية الرسول الكريم (ص) في شعره أبرزَ فضائلها النفسية والخلقية ، ورسم لها أبعاد القيادة والنبوة ، وكان في توضيحه لأبعاد هذه الشخصية و تصويرها متأثراً بالقيم التي يجلها العرب قبل الاسلام ، وأبقى الإسلام على إجلالها واحترامها ، كما تأثر بالقيم الاسلامية التي آمن بها فظهرت واضحة المعالم على شخصية الرسول في شعره .

لقد شغف حسان شغفاً كبيراً بالفخر بقومه الخزرج وعلا فخره بالانصار عموماً ، فلم يترك مناسبة تمر من غير الاشادة بهم والاعتزاز بنصرتهم ودعمهم للاسلام ووقوفهم الى جوار نبيهم .

ولو قدّر لحسان أن ينسى هذه النزعة ، نزعة الفخر بقومه في حديثه عن شخصية الرسول الكريم ، أقول لو قدر له ذلك لوفقَ أكبر التوفيق في رسم

(٦٤) ديوان حسان القصيدة : ٨٦ خاموا : جبنوا وينظر دراسات في الادب الاسلامي ٢٨٢

أبعاد هذه الشخصية العظيمة ، وعلا مرتبة أعلى من المكانة التي حلق بها في سماء الفن يوم رسم تلك الصورة .

بقي أن نشير الى أن شخصية الرسول (ص) وما تحمله من دلالات حضارية عظيمة في توحيد الأمة العربية وقيادتها وما تحمله من دلالات دينية كبيرة . كانت أكبر كثيراً من شعر حسان . فلم يستطع شعر حسان ولا شعر غيره من الشعراء أن يرقى الى مستواها (٦٥) .

وهكذا كانت شخصية الرسول (ص) «من أكثر الشخصيات تأثيراً في عصرها والعصور التي تلته ويتجلى أثر شخصيته في الأدب العربي ، واضحاً . مشرقيه ومغربيه ، فقد ظل معيناً ثراً يستلهم منه الأدباء ، صورة المثل الأعلى إذ كان جماعاً للقيم والاخلاق الرفيعة الى جانب خصوصيته بالوحي والرسالة التي أبلغها فدخل الناس فيها أفواجاً (٦٦) .

١٥/ ٤/ ١٩٨٧

---

(٦٥) في الشعر الإسلامي والأموي د. عبد القادر القط : ٤٨

(٦٦) المديح النبوي في الشعر الاندلسي - عهد الموحدين . منجد مصطفى بهجت : ٤٥٥

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١ ـ **الأدب في موكب الحضارة الاسلامية ـ كتاب الشعر** ـ د. مصطفى الشكعة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٤م .

٢ ـ **الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني** ، تحقيق : ابراهيم الإبياري ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٩ ـ الجزء ٤ .

٣ ـ **البيان والتبيين للجاحظ** تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون ، مؤسسة الخانجي بمصر .

٤ ـ **تاريخ الأدب العربي** ـ العصر الإسلامي د. شوقي ضيف : دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ١٩٧٦ .

٥ ـ **حسان بن ثابت شاعر الرسول** د. سيد حنفي حسنين ، مطبعة مصر ، القاهرة .

٦ ـ **دراسات في الأدب الإسلامي** د. سامي مكي العاني ، المكتب الإسلامي ١٩٧٥م ساعدت جامعة بغداد على نشره

٧ ـ **ديوان حسان بن ثابت** ـ تحقيق د. سيد حنفي حسنين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ ، القاهرة .

٨ ـ **رياض الصالحين للنووي** تحقيق : عبدالله أحمد أبو زينة ، وكالة المطبوعات الكويت ـ دار القلم ـ بيروت ، لبنان ١٩٧٠م .

٩ ـ **سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم** ـ صور مقتبسة من القرآن الكريم محمد عزة دروزة ، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاؤه ، الطبعة الثانية الجزء الأول .

١٠ ـ **السيرة النبوية لأبي محمد عبدالملك بن هشام المعافري المتوفى ٢١٣هـ** قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبدالرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الازهرية ، شركة الطباعة الفنية المتحدة .

١١ ـ صور من حياة الرسول ـ أمين دويدار ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة .
١٢ ـ عبقرية محمد عباس محمود العقاد ، دار الهلال ١٩٦٦ .
١٣ ـ في الشعر الإسلامي والأموي د. عبدالقادر القط . دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٩ .
١٤ ـ الهجاء والهجاؤون في الجاهلية د. محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠

الدوريات

١ ـ مجلة (آداب الرافدين) لكلية الآداب بجامعة الموصل ، العدد ١٣ لسنة ١٩٨١ .
٢ ـ مجلة (الكتاب) العدد الأول لشهر كانون الاول لسنة ١٩٧٥ السنة التاسعة .